وفي الآية بيّن وهذا الخبر منه تعالى يتضمن تحقيق الدنيا ولما علم الله ما في الدنيا من الآفات حمى
منها أولياءه ففي الترمذي عن قتادة بن النعمان عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا أحب الله عبدا حماه
الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء قال أبو عيسى وفي الباب عن صهيب وأم المنذر وهذا حديث حسن
وفي الترمذي عن ابن مسعود قال قام النبي صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقلنا
يا رسول الله لو اتخذنا لك فراشا فقال ما لي وما للدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح
وتركها وفي الباب عن ابن عمر وابن عباس قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح اهـ وقوله تعالى في بروج
الأكثر والأصح الذي عليه الجمهور أنه أراد البروج في الحصون التي في الأرض المبنية لأنها غاية البشر
في التحصن والمنعة فمثل الله بها قال قتادة المعنى في قصور محصنة وقاله ابن جريج والجمهور وبرج
معناه ظهر ومنه تبرج المرأة ومشيدة قال الزجاج وغيره معناه مرفوعة مطولة
ومنه أشاد الرجل ذكر الرجل إذا رفعه وقالت طائفة مشيدة معناه محسنة بالمشيد
وهو الجص روى النسائي عن ابن هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذكروا ذكر
هادم اللذات يعني الموت وخرجه ابن ماجة والترمذي وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده
من حديث مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم بمثله وروى ابن ماجة بسنده عن ابن عمر أنه قال كنت جالسا
مع النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فأي المؤمنين أكيس قال أكثرهم
للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك الأكياس وأخرجه مالك أيضا اهـ من
التذكرة وقوله تعالى وإن تصبهم حسنة الآية الضمير في تصبهم عائد على الذين قيل لهم كفوا أيديكم
وهذا يدل على أنهم المنافقون لأن المؤمنين لا تليق بهم هذه المقالة ولأن اليهود لم يكونوا
للنبي صلى الله عليه وسلم تحت أمر فتصيبهم بسببه سواء والمعنى إن تصب هؤلاء المنافقين
حسنة من غنيمة أو غير ذلك رأوا أن ذلك بالاتفاق من صنع الله لا ببركة اتباعك
والإيمان بك وإن تصبهم سيئة أي هزيمة أو شدة جوع أو غير ذلك قالوا هذه بسببك
وقوله تعالى قل كل من عند الله إعلام من الله تعالى أن الخير والشر والحسنة والسيئة
خلق له ومن عنده لا رب غيره ولا خالق ولا مخترع سواه والمعنى قل يا محمد لهؤلاء ثم
وبخهم سبحانه بالاستفهام عن علة جهلهم وقلة فهمهم وتحصيلهم لما يخبرون به من الحقائق

والفقه

والفقه في اللغة الفهم وفي الشرع الفهم في أمور الدين ثم غلب عليه الاستعمال المسائل
الأحكامية وقوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله الآية خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم وغيره داخل في المعنى ومعنى الآية عند ابن عباس وغيره على القطع والاستئناف
لأخبار من الله عز وجل فإن الحسنة منه ومن فضله وبأن السيئة من الإنسان
بإذنه وهي من الله تعالى بخلقه واختراعه لا خالق سواه سبحانه لا شريك له وفي
مصحف ابن مسعود فمن نفسك وأنا قضيتها عليك وقرأ بها ابن عباس وفي رواية وأنا
قدرتها عليك وبعض هذا التأويل أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم معناها
أن ما يصيب ابن آدم من المصائب فإنما هو عقوبة ذنوبه قال ابن جعفر أحمد بن
نصر الداودي قوله تعالى وما أصابك من حسنة فمن نفسك خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والمراد غيره اهـ وقوله تعالى وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا
توعد للكفرة وتهديد تقتضيه قوة الكلام لأن المعنى شهيدا على من كذبه وقوله تعالى
من يطع الرسول فقد أطاع الله المعنى أن الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يأمر وينهى
بيانا وتبليغا عن الله عز وجل وتولى معناه أعرض وتولى وحفيظا يحتمل معنيين أي لتحفظهم
حتى لا يقعوا في الكفر والمعاصي ونحوه أو لتحفظ مساويهم وتحسبها عليهم وهذه الآية
تقتضي الإعراض عمن تولى والترك له وهي قبل نزول القتال وإنما كانت توطئة ورفقا
من الله عز وجل حتى يستحكم أمر الإسلام وقوله تعالى ويقولون طاعة الآية نزلت
في المنافقين باتفاق المفسرين المعنى يقولون لك يا محمد أمرنا طاعة فإذا خرجوا من عندك
اجتمعوا ليلا وقالوا غير ما أظهروا لك وبيت معناه فعل ليلا وهو مأخوذ من بات
أو من البيت لأنه ملتزم بالليل وقوله تقول يحتمل أن يكون معناه تقول أنت ويحتمل
هي تقول لك والأمر بالإعراض إنما هو عند عاقبتهم ومجازاتهم وأما استمرار عظمتهم ودعوتهم
فلازم ثم أمر سبحانه بالتوكل عليه والتمسك بالعروة الوثقى ثقة بإنجاز وعده في النصر
والوكيل القائم بالأمور المصلح لما يخاف من فساده وقوله تعالى أفلا يتدبرون
القرآن الآية المعنى أفلا يتدبرون هؤلاء المنافقون كلام الله تعالى فتظهر لهم براهينه
وتلوح لهم أدلته ت اعلم رحمك الله تعالى أن تدبر القرآن كفيل لصاحبه بكل جيد وأما الهذرمة
والعجلة فتأثيرها في القلب ضعيف قال النووي رحمه الله تعالى وذكره جماعة من المتقدمين

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)